

عزف على أعواده عمالقة الفن اللبناني نزيه غضبان خصّ العود باحتراف مستمر

بقاع الشمالي - أحمد طي



نزيه خلال صناعته عوداً في محترفه

صناعة العود نصفها ذوق وموسيقا نصفها الآخر حرفة ونجارة، هذه هي قناعة نزيه غضبان، الذي بدأ حياته الحرفية كعازف لآلة العود بين عامي 1974 و 1975 ينتقل بعدها إلى تأسيس محترف لصناعة هذه الآلة لثلاثين متاهات الإبتدال مع بدء ظهور الآلات الموسيقية الإلكترونية الكهربائية.

ويقول ابن بلدة رأس بعلبك البقاعية عن طوته " تعلمت الحرفة وحيداً، وأتى هذا تصميم نتيجة البحث المتواصل والمطالعة الفضول العلمي، فليس هناك شيء عن الآلات شرقية، سوى ما وصلنا من القرن العاشر ميلادي كتأثير إخوان الصفاء (حاوي فنون وسلوة المحزون، وصناعة العود)".

وعن تاريخ العود يضيف غضبان " ثمة ضارب في تحديد تاريخ العود، البعض يقول به من الجيل السادس بعد نوح على أيام لامك" والبعض الآخر يرجعه إلى بلاد ما بين نهريين، أما المصريون فيدعون أنهم اخترعوا هذه الآلة أيام أخناتون حوالي سنة 1500 قبل الميلاد، والملاحظ أن ثمة ألواح فخارية عم الرأيين ومما لا شك فيه أن عمر هذه الآلة ضاهي الـ4000 سنة".

تطور آلة العود

ويوضح لنا المسار التاريخي لهذه الآلة إذ أنه تم استبدال الوجه الجلدي إلى آخر شبي، حتى المضرب (الريشة) تبدل من شبي إلى عظمي لينتهي بمضرب مصنوع من ريش النسر أو من قرن الجاموس. كما دت تبدل طفيف في قياسات الآلة.

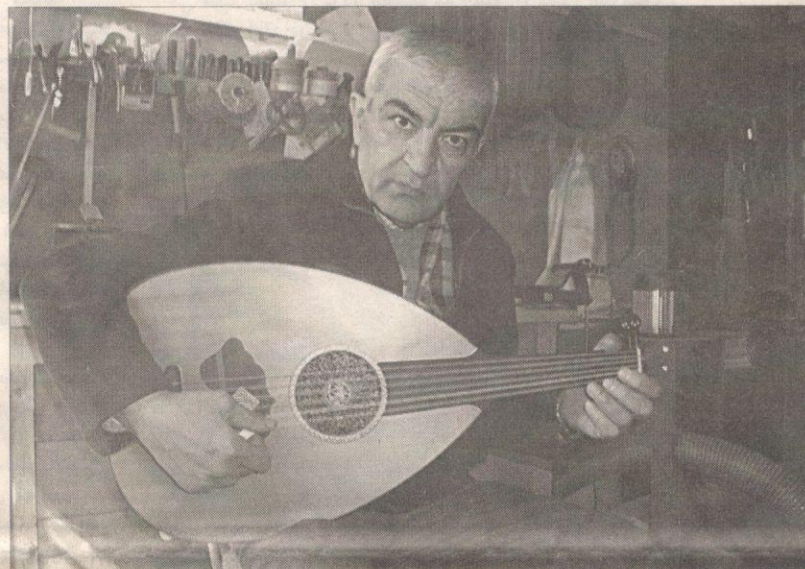
وبلغ ازدهار آلة العود ذروته بين القرنين العاشر والثاني عشر مع إخوان الصفا الذين ضعوا المقاسات التي نعمل بحكمها اليوم. وعن الحرفة يشرح لنا "تصنع آلة العود من عدة أنواع من الأخشاب، ولكل جزء منه نوع خاص يلائمه، فطاسة العود أي ظهره تصنع من أخشاب قاسية كالجوز، الورد، الأبنوس، البلساندر، البادوك، السنديان، الليمون، شمش، الموغانوم، الكوكوبولو والوينغي. أما صدر الآلة فيصنع من أخشاب السبروس، شوح، الجام أو الازر. وبالعامل المتواصل كان أن تنتهي صناعة العود الواحد خلال شهر ونصف".

غضبان الذي هو بصدد تأليف كتاب عن آلة العود يعتبر أن هذه الآلة اتجهت لتكون آلة لامية خلال السنوات العشر التي خلت، كما أنها عادت آلة أساسية في التخت الشرقي، لنا نلاحظ العودة إلى الآلات الوترية صلية اللاكهربائية كالعود والقانون نيرهما، خاصة أن العود هو آلة مفتوحة

أقبال لافت

ولعل أكثر ما يريح نزيه غضبان ويطمئن باله هو الطلب المتزايد على آلة العود من كل أنحاء العالم، لا بل أن هناك طلبات لتعلم هذه

الحرفة حتى من الأجانب وهو يفكر في إقامة ورش عمل خلال صيف 2011 لتعليم هذه المهنة كي يتم حفظها إرثاً وثقافياً مهماً. كما أن نزيه يغتبط كلما سمع أن ثمة حفلة أو كونسرت للعزف على آلة العود منفردة أو



وعزف على عوده الآن.

ضمن تخت شرقي يعيد إلى مسامعنا الموسيقية الطبيعية الأصيلة بدلاً من التلوث المبيد والضجيج الذي تسببه الآلات الكهربائية. والملفت أن نزيه غضبان قد صنع المئات من الأعواد لا يذكر عددها، والأحب إلى قلبه تلك الأعواد التي صنعها خصيصاً لعملة الفن اللبناني والعربي كالمطرب القدير والصافي والمتألق مارسيل خليفة وإبراهيم شويري وراغب علامة، وهو الآن بصدد صنع عود سيكون من نصيب شربل روحانا. ولم يقتصر زبائن نزيه على الفنانين اللبنانيين بل صنع أعواداً لعازفين سوربة، الإمارات العربية المتحدة، الكويت، تونس، الولايات المتحدة، فرنسا، استراليا، إيطاليا، الأوروغواي واليابان.

مبادرة فريدة حفظت تاريخاً كبيراً وولغنياً، يمكن لا تتعدى مساحته العشرين مربعا، لكنه حوى بين زواياه وجدرانه آلايين السنين وأجمل الألحان. ويبقى السؤال ما سنكتشف الدولة هذه المحترفات لتدعم وتمدها بيد العون من أجل الحفاظ على التراث والفن والثقافة؟ سؤال يرسم وزارات الثقافة والفنون الجميلة، والسياحة، ولحين الإجابة سيبقى لبنان يقول لنزيه غضبان: عود